

الحالات المعروضة يوم 11 مارس 2017

الحالة: حرية الإنترنت

الاسم: زهير اليحياوي

مقدم الحالة: والدة الضحية "خديجة اليحياوي"

تعريف الضحية

ولد زهير بن سعيد بن محمد اليحياوي يوم 8 ديسمبر سنة 1967 بقصر حدادة معتمدية غمراسن، زاول تعليمه الابتدائي بالمدرسة الابتدائية 17 نهج روسيا وتحصل على شهادة البكالوريا من المعهد الصادقي ثم التحق بكلية العلوم الاقتصادية والتصرف بتونس وتحصل على الأستاذية في علوم الاقتصاد والتصرف سنة 1995. أسس في شهر جوان 2001 صحيفة الكترونية TuneZine وعنوانها على الشبكة (www.TuneZine.com) مستعملا اسما مستعارا «التونسي» لتنشيطها، اعتمد الكتابة بأسلوب هزلي ساخر و ذلك لفضح ممارسات الفساد والاستبداد وغياب الحريات بتفكيك الواقع التونسي حينها وتوفير فضاء للتعبير عبر نشر مقالات لمشاركين بأسماء مستعارة تنتقد الأوضاع السياسية والمساهمة في كسر الحصار الإعلامي الذي تفرضه السلطة على الشعب التونسي. منحت منظمة مراسلون بلا حدود لزهير اليحياوي سنة 2003 جائزة "الحرية عبر الفضاء السيبرني"، كما نال في نفس السنة جائزة " بين PEN" لحرية الكتابة.

تعد قضية زهير اليحياوي الأكثر دلالة على انخراط النظام السياسي التونسي في حرب مستمرة تجاه حرية التعبير على الإنترنت والأولى من نوعها التي تباشر فيها السلط العمومية تتبعات جزائية ضد معارض تونسي انتقد النظام على الإنترنت، بعد أن استخدمت السلطات التونسية أشكال متعددة للمتابعات والملاحقات غير القانونية ضد معارضين سياسيين ونشطاء حقوقيين.

الوقائع

اعتقل زهير اليحياوي يوم 4 جوان 2002 حوالي الساعة السابعة مساء من قبل ستة أعوان أمن بالزي المدني بعد أن حاصروا وداهموا المحل العمومي لخدمات الإنترنت (Publignet) الذي كان يشتغل به وتم حجز المعدات والحواسيب وكل الاقراص الليزرية بالمكان بعدها اقتادوه إلى منزله حيث حجزوا معدات إعلامية تابعة له ووثائق شخصية.

نقل المرحوم زهير اليحياوي إلى مقر وزارة الداخلية أين تعرض الى شتى أنواع التعذيب من تعرية و تعليق و ضرب وإخضاع لوضع الدجاجة طيلة يومين ثم تم نقله الى منطقة القرطاجني دون أن يتمكن أقاربه من معرفة مصيره ومكان تواجده و كان البحث يتمحور حول نشاطه على موقع "تونيزين" وهوية المشاركين في المنتدى و مصادر معلوماته إضافة الى اتهامه بنشر الرسالة التي وجهها المرحوم مختار اليحياوي إلى رئيس الدولة بن علي بوصفه رئيس المجلس الأعلى للقضاء تحت عنوان "رسالة مفتوحة إلى رئيس الدولة" تضمنت تعبيره عن رفضه لما آل إليه وضع السلطة القضائية والتدخل السافر في عمل القضاة طالبا منه " اتخاذ القرارات اللازمة لرفع الوصاية عن القضاء وعلى كل مؤسسات الدولة".

أحيل المرحوم زهير اليحياوي بتاريخ 13 جوان 2002 بعد عدة أيام قضاها رهن الاحتفاظ على أنظار المحكمة الابتدائية بتونس لمقاضاته من أجل تهمة "اشاعة أخبار يعلم أنها مزيفة وذلك قصد جعل الغير يعتقد في وجود عمل اجرامي

يعاقب عليه القانون عقابا جزائيا " واختلاس واستعمال خطوط اتصال" و لتأجل محاكمته إلى جلسة يوم 20 من نفس الشهر بطلب من لسان الدفاع و رفض مطالب الافراج.

في يوم 20 جوان 2003 أصدرت الدائرة الجنائية بالمحكمة الابتدائية بتونس برئاسة القاضي أكرم المنكبي حكما في القضيتين التي أحيل من أجلها المرحوم زهير اليحياوي الأولى تحت عدد 35497 تقضي بسجنه سنة وأربعة أشهر من أجل اختلاس واستعمال خطوط اتصال وفق أحكام الفصل 264 مجلة جزائية و الثانية تحت عدد 35117 تقضي بسجنه سنة واحدة من أجل إشاعة أخبار يعلم مسبقا أنها زائفة وذلك قصد جعل الغير يعتقد في وجود عمل إجرامي ضد الأشخاص والمكاسب طبق أحكام الفقرة الثانية من الفصل 306 مكرّر من المجلة الجزائية مع الإشارة إلى أن زهير اليحياوي رفض المثول امام المحكمة معبرا عن عدم ثقته في حيادها ونزاهتها ولقناعته في عدم جدوى تقديم دفوعاته أمام هيئة قضائية تتلقى الأوامر والتعليمات من السلطة التنفيذية.

أقرت محكمة الاستئناف بتونس بتاريخ 10 جولية 2002 الحكيمين الابتدائيين الصادرين في حق المرحوم زهير مع تعديل نص الحكم الابتدائي القاضي بسجنه سنة وأربعة أشهر و ذلك بالنزول بالعقاب المحكوم به إلى عام واحد وبالتالي سجنه سنتين من أجل ما نسب إليه.

أودع المرحوم زهير اليحياوي بالسجن المدني ببرج العامري وتواصلت معاناته وانتهجت السلطة إزاءه سياسة الموت البطيء مما دفع به الى الاضراب عن الطعام في ثلاثة مناسبات فاقت احداها ال45 يوما و ذلك احتجاجا على ظروف الإقامة وانعدام أبسط الضروريات الحياتية والعلاجية و على منعه من تلقي الرسائل و مقابلة أقاربه دون رقابة مشددة ولا استمرار اعتقاله والتنكيل به وبعائلته.

تدهورت حالته الصحية وأصبح يشكو من آلام حادة في الكلى مما حال دون القدرة على الوقوف يوم الزيارة لأكثر من ثوان معدودة مما اضطر حراس السجن إلى حمله وقطع الزيارة دون الالتفات إلى حالته الصحية المتدهورة.

منع زهير من الحصول على الدواء الذي أرسلته له شقيقته لمعالجة ألم الكلى وتم استبداله بدواء مجهول المصدر وطلب منه أعوان السجن تناوله وأمام رفضه وقيامه بإتلافه تعرض الى الضرب والتعرية وأودع "بالسيلون".

يوم الأربعاء 3 جوان 2003 قدمت الأنسة صوفي بيكاريك خطيبة زهير اليحياوي من فرنسا لزيارته بمناسبة مرور سنة على سجنه لكنها أوقفت بمطار تونس قرطاج ومنعت من الدخول قبل تفسيرها على متن أول رحلة باتجاه باريس ولم تقدم السلطات التونسية أي تفسير لذلك الاجراء.

و أمام تعكر حالته الصحية وبتاريخ 27 جوان 2003 تحول وفد من الناشطين و الحقوقيين من الجمعية الدولية لمساندة المساجين السياسيين والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الانسان والمجلس الوطني للحريات بتونس والجمعية التونسية للمحامين الشبان ومركز تونس لاستقلال القضاء والمحاماة صحبة السيدة نجية اليحياوي لحمل " قفة رمزية" لزهير والسعي إلى إقناعه بتعليق إضرابه عن الطعام لكن تم إيقافهم من قبل أعوان من الحرس الوطني بمفترق مدينة المرناقية قرابة الساعتين قبل أن يتمكنوا من المرور أين وقع إيقافهم ثانية طيلة ساعة ونصف من قبل أعوان حرس المرور ثم منعوا من الوصول إلى سجن برج العامري كما منعت شقيقته من المرور رغم حملها لبطاقة زيارة.

وفي الأثناء نظرت الدائرة 17 بمحكمة التعقيب يوم الجمعة 11 جولية 2003 في طعني زهير اليحياوي وقررت صلب حكمها عدد 32243 و 32244 رفض التعقيب أصلا وإقرار الأحكام الصادرة ضده والقاضية بسجنه مدة عامين.

تقدم زهير بطلب لإدارة السجن قصد تمكينه من حضور جنازة والده السيد سعيد اليحياوي المتوفي يوم 21 جولية 2003، وتم نقله صبيحة يوم 22 جولية 2003 من سجن برج العامري الى منزل العائلة تحت حراسة أمنية مشددة (حوالي 70 عونا) ولم يمهله أكثر من 30 دقيقة ليعيدوه إلى السجن قبل أن يمكّن من حضور مراسم الدفن.

أصدر الرئيس بن علي سنة 2003 عفوا بمناسبة السابع بن نوفمبر شمل المرحوم زهير لكنه رفض التمتع به.

أفرج عن زهير اليحياوي بموجب السراح الشرطي في يوم 18 نوفمبر 2003، شهرا قبل انعقاد قمة 5+5 بعد أن قضى معظم المدة المحكوم بها.

النتائج:

بعد مغادرته السجن تعرّض المرحوم زهير اليحياوي إلى مراقبة أمنية لصيقة كما تعرضت أسرته لمضايقات، وقطعت عنها خطوط الهاتف وتعرض شقيقه للاعتقال مرتين. استعاد نشاطه ومساهماته في موقع "تونيزين". تدهورت حالته الصحية من جراء التعذيب والمعاملة القاسية داخل السجن كتدهور قدرته على التنفس. توفي في 13 مارس 2005 في مستشفى الحبيب ثامر حوالي الساعة الواحدة والنصف بعد الزوال جراء نوبة قلبية. تولّى رئيس الجمهورية المنصف المرزوقي يوم 13 مارس 2012 منح وسام الجمهورية من الصنف الأول للمرحوم زهير اليحياوي كما تمّ إقرار ذات التاريخ من كلّ سنة يوماً وطنياً لحرية الانترنت.